

العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسيني ومكانته في تاريخ الهند الإسلامي

بتأمر: سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني النجدي

ترجمه من لغة أورد بتأمر الأستاذ قطب عالم النجدي

(هذا البحث القيم ألقى في الندوة العلمية

التي عقدتها إكاديمية أوردو لولاية أترابرايش في ٦-٧/ذي القعدة ١٤١٧هـ

حول حياة وأعمال العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسيني - رحمه الله -

كبحث محوري للندوة ، فنشره هنا ،

بالنظر إلى قيمته العلمية والتاريخية الكبيرة [التحرير]

قبل أن أقوم بالتعريف بشخصية والذي العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسيني - رحمه الله - (١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م ، ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م) بصفته مؤرخاً عظيماً ومؤلفاً كبيراً للتراجم ، وكمؤلف عرض الهند لا في العالم الإسلامي فحسب بل في العالم العلمي أيضاً بصفقتها بلاداً قامت بدور اجتهادي وقيادي في مجالات العلم والبحث والتحقيق والدعوة والإصلاح والتزكية والسلوك وفي العلوم الدينية والعقلية واللسانية ، قبل أن أذكر دوره وخدماته في هذا المجال أرى من المناسب بل أرى لزاماً عليّ أن استرعى انتباهكم إلى ما يتسم به من ميزة وتفرد وندرة ونجاح يفوق كل قياس وتقدير ، مساهمات العزماء والمؤلفين العلمية والتأليفية وإنتاجات وإنجازات المحققين واللغويين الهنود ودورهم الفعال الاجتهادي والريادي المتميز في الميادين اللغوية واللسانية ، وفي مجال اللغة العربية فضلاً عن ميادين العلوم الشرعية والإسلامية . وذلك بالرغم من

بعد الهند عن مركز الإسلام والعروبة والعلوم العربية والدينية واختلاف اللغة وامتداد فترة حكم الأسر التركية والإيرانية الفارسية ، ورغمًا من امتلاكها لغة غنية عريقة واحتضانها حضارة مستقلة عتيقة ، فقبل كل شيء يجب الاعتراف بأن البلدان القريبة التي سعدت باستقبال الفاتحين العرب والدعاة المسلمين الأولين صارت لغتها "اللغة العربية" ولم يعد الفرق بينها وبين جزيرة العرب في التعرف على الكتاب والسنة والعلوم الإسلامية والأدبية والاستيناس إليها وفي إظهار نبوغها وبراعتها وبذل جهودها في هذه الميادين ، فانتظمت بسبب قرب المكان ووحدة اللغة في سلك واحد ، وتكونت عضواً من أعضاء أسرة مشتركة دينية وعلمية ولغوية وأدبية .

وفي هذه المناسبة أذكر لكم مصر والعراق والشام التي أنجبت آلافًا من العلماء والفضلاء والمحدثين والفقهاء والأدباء والشعراء والمصنفين والباحثين ، ويتصدر العراق هذه الديار والمراكز السياسية والعلمية ، وخاصة في القرون الأولى للإسلام ، وأهم سبب لذلك هو قيام الخلافة العباسية وتبؤ بغداد مكانة المرجعية للخاصة والعامة وكونه موردًا للعلماء والمجتهدين ، وبه ولد مؤسسو بعض المذاهب الفقهية والأئمة المجتهدين و واضعي المناهج الدراسية لعدد من العلوم والفنون العربية ونشأ فيه مصنفو المراجع والمصادر ممن يطول ذكرهم .

وتلي العراق مصر والشام حيث نبغ عدد كبير من أهل الفضل والكمال وأصحاب التصنيف والتأليف وأسباب الشعر والأدب العربي ومؤلفو كتب التاريخ والسير وتراجم الأعلام في كل فن مليئة بأسمائهم ومآثرهم .

وإلى هذه الأقطار والبلدان المتحدة لغةً والمتقاربة مكانًا ، منطقة شمال إفريقيا التي تمتد من السودان وليبيا إلى مراكش بما فيه طرابلس وتيونس

والجزائر ومراكش ، والمنطقة كلها تعرف بـ "المغرب الأقصى" صارت لغتها العربية ، و ولد بها العلماء والفضلاء والإخصائيون في العلوم والفنون ، ونشأ فيها الكتاب والبارعون في الأدب والشعر بكثرة كاثرة ، وما زالت هذه المنطقة تنجب العباقرة والمصنفين الأفيان ، وتضيف إلى المكتبة الإسلامية والعربية بصفة منتظمة مستمرة .

ثم تأتي أقطار وديار الشرق وآسيا التي كانت تتكلم بغير العربية من الفارسية والتركية ، ومن هذه البلدان تركستان ، إيران ، أفغانستان ، والهند ، وبناءً على أن كان لها بعد مكاني واختلاف لغوي ، لم يكن نبوغ العلماء البارعين في العلوم الإسلامية والعربية والمحققين والراسخين في العلم والمصنفين باللغة العربية ، إلا فضلاً وتوفيقاً من عند الله تبارك وتعالى ونتيجة للإيمان القوي المتدفق والجهود الذاتية والرسوخ العلمي .

وفي مقدمة هذه الممالك والبلدان إيران التي حاز بعض أبنائها على درجة الإمامة والاجتهاد في العلوم العربية والإسلامية ، ودبجت يراعتهم مؤلفات رئيسية احتلت درجة منهجية في نفس العالم العربي والإسلامي ، ولكن أنمة الفن هؤلاء جميعاً وإن كانوا قد ينتمون إلى إيران عنصراً ونسلاً قد نشأوا وترعرعوا في بغداد ، وهناك اشتغل زكاؤهم وظهر نبوغهم وبلغ علمهم أوجه . ومنها طار صيتهم في الآفاق ، وفي هذه المدينة أثمرت جهودهم العلمية ، وبمنهلها العذب شفى المتعطشون غليلهم العلمي في العالم العربي والإسلامي ، ومن بين هؤلاء العباقرة إمام النحو سيبويه الذي يعتبر كتابه "الكتاب" كتاباً رئيسياً ومنهجياً ومرجعاً هاماً في هذا الفن الجليل ، هو من مواطني بلدة في مديرية شيراز من مقاطعة فارس الإيرانية ، وعبد القاهر الجرجاني الذي

يعتبر كتابه : "دلائل الإعجاز" سنداً ومرجعاً موثقاً به في فن البلاغة ، هو أيضاً ينحدر من جرجان "كركان" من مقاطعة استرآباد الإيرانية الحالية ، وسوى هذين الإمامين الجليلين هناك إمامان عظيمان آخران طبق ذكرهما الخافقين ، ينتميان إلى إيران عنصراً ونسلاً وإلى بغداد درساً وتصنيفاً ، هما أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري الخوارزمي (م ٥٣٨هـ) والإمام فخر الدين الرازي (م ٦٠٦هـ) ، وبرز غيرهما أدباء ممتازون وكتاب قراء في العربية اعترف بتفوقهم وامتيازهم وتفرد أسنوبهم الأدباء والناقدون العرب الأحقاح ، وأودعوهم في مقررات الأدب العربي ، ونخص منهم بالذكر عبد الله بن المقفع صاحب "كيلة ودمنة" الذي هو أنموذج فريد للسهل الممتنع واللغة الحلوة السلسلة ، وأبا بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمداني اللذين تعد رسائلهما نماذج أدبية قيمة في الأدب العربي .

وتأتي في الدرجة الثانية بعد إيران بلاد تركستان التي تلقى أبناؤها البررة قبولاً واسعاً يحسد عليه ، لم تأت بنماذج لشغفها بالعلوم الدينية وبراعتها فيها بصفة عامة والحديث والفقهاء بصفة خاصة فحسب ، بل قدمت نماذج رائعة للإمامة والسيادة أيضاً ، اعترف بها ، وانقاد لها العالم العربي والإسلامي ، وصارت جزءاً من المقررات الدراسية الدينية لا يتجزأ أبداً ، ولا يمكن الاستغناء عنها ، وعلى رأسها "الجامع الصحيح" للإمام محمد بن إسماعيل البخاري و"الهداية" للعلامة علي بن أبي بكر الفرغاني المرغيناني (م ٥٩٣هـ) الذي هو من أمهات كتب الفقه الحنفي الدراسية ومن مراجع الخاصة والعامة ، ولا نعرف كثيراً عن مصنفات علماء تركستان الاجتهادية والتمتازة في الفنون الأخرى غير الحديث والفقهاء ، يمكن أن تكون أعمالهم وإنتاجاتهم في الفنون

الأخرى أيضاً ذات قيمة وأهمية ، فإنه يحتاج إلى دراسة أعمق ومطالعة أوسع .
والآن نتجه إلى الهند حيث صُنّف عديد من الكتب في العلوم الإسلامية لا
يوجد لها نظير رغم البعد المكاني والاختلاف اللغوي بالنسبة للبلدان العجمية
التي سبق ذكرها ، ومن هذه السلسلة الذهبية كتاب "العباب الزاخر" لإمام
اللغة والحديث والمصنف الشهير في القرن الثالث عشر الميلادي حسن محمد
الصغاني وكتاب "كنز العمال" للمحدث الكبير في القرن السادس عشر الميلادي
الشيخ علي بن حسام الدين المتقي البرهان الفوري الفجراتي ، وكتاب "مجمع
بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار" وكتاب "تذكرة الموضوعات"
للعلامة محمد طاهر الفتني (م ٩٨٦هـ) .

لا يخفى على نوى العلم والبصيرة مدى أهمية المصطلحات العلمية والفنية في
العلوم والفنون وفداحة الضرر العلمي والخسارة التشريحية التي يتسبب إليها
قلة العلم بها وعدم الرسوخ فيها والجهل عن مواقع استعمالها ومدى صعوبة
ودقة تفسير وتوضيح المصطلحات بالنسبة لمن لم يكن له رسوخ تام فيها واطلاع
واسع على الفروق الدقيقة فيما بينها، ربما تفوّت زلة تافهة في هذا الميدان
الشائك سائر المقاصد والأغراض، وفي هذا الفن الدقيق المعضل لا يعتبر سناً
ومرجعاً موثقاً به إلا كتابان فقط، وهما: "كشاف اصطلاحات الفنون" لمحمد
أعلى التهانوي ، و "جامع العلوم" لعبد النبي الأحمد النجري . ويعرف هو
الآخر بـ "دستور العلماء" أيضاً، إن هذين الكتابين الجليلين اللذين يدلان على
رسوخ صاحبيهما علماً ونظراً، واطلاعاً واسعاً ينتمي مؤلفاهما إلى الهند .

وليس بخاف على الخبير أن من الأعمال الجريئة التي تتطلب همّة عالية
وعزماً محكماً أن يتولى مسؤولية التحقيق والتدوين والتصنيف على لغة أجنبية

وفروعها المختلفة شخص ولد ونشأ وترعرع وتعلم بعيداً عن وطنها وعن مراكزها، يستحق تاريخ الهند الإسلامي أن يفتخر بأن صفحاته لا تخلو من أمثال هؤلاء الأبطال الشجعان والفوارس المغامرين ، وأخص بالذكر منهم العلامة الشريف السيد مرتضى البلجرامي المعروف بـ "الزبيدي" (م ١٢٠٥ هـ) الذي ألف "تاج العروس في شرح القاموس" في عشر مجلدات كبار ، ويبلغ مجموع صفحاته حوالي خمسة آلاف صفحة بالحروف الحديدية المصرية الدقيقة ، وأخيراً قد طبع في الكويت بإضافات وتحقيق في عشرين مجلداً ، يشكل هذا السفر العظيم مكتبة مستقلة .

إن تأليف رجل هندي في موضوع اللغة العربية تعتبر جراءة علمية كبيرة من غير شك أضف إلى ذلك شرح القاموس باسم "القاموس المحيط" الحائز على الثقة والمرجعية لإمام اللغة العلامة مجد الدين الفيروزآبادي وإكماله والزيادة فيه وتصحيحه ، إن دل ذلك على شئ فإنه يدل على تبحر علمه ورسوخه وبراعته النادرة في فن اللغة وجراءته القوية واعتماده على أصالة مطالعته ودراساته الواسعة العميقة ، وفي حياة المؤلف نفسه طار صيت هذا القاموس في مشارق الأرض ومغاربها ، حتى حصل سلطان تركيا على نسخة منه تم نقلها بأمره ، ولم يتخلف عنه السلطان دارفور وسلطان مراکش في الحصول عليه ، كما حصل قائد مصر العسكري الشهير المحب للعلم رئيس محمد بك أبو الذهب على نسخة منه بألف ريال لمكتبة المسجد الذي بناه بقرب من جامع الأزهر .

وإنني إذا لم أذكر بعد هذه الكتب الأدبية والفنية الكتابيين اللذين الفهما مفخرة الهند بل مفخرة العصر في النصف الأخير من القرن الثاني عشر

الهجري ، وهو حكيم الإسلام الإمام ولي الله الدهلوي (م ١١٧٦هـ) . وهما :
 "حجة الله البالغة" على بيان أسرار وحكم الشريعة وعرضها منسجمة بعضها
 مع بعض كامل الانسجام ، وعلى مقاصد وفرائض الإسلام ، و "إزالة الخفاء عن
 خلافة الخلفاء" على ضرورة وأهميته الخلافة وإثبات خلافة الخلفاء الراشدين
 ومكرماتهم ومنهم وعلى مكانة الخلافة في الإسلام وعلى حد الخلافة الجامع
 المانع ، إذا لم أذكر هذين الكتابين فإني سأكون مقصراً في البحث والتحقيق
 وجانبياً على العلم والتاريخ .

ولكن مع كل ما تتميز به الهند من مزايا الزعامة في العلوم العربية
 والإسلامية وفي مجال التحقيق والتصنيف ، لم يذكر المؤرخون وأصحاب
 التراجم والسير العرب من أصحاب العلم والفضل ونوى البحث والتحقيق
 النبهاء ونوى الخطر ممن خدموا الدين والعلم في الهند ، إلا عداً ضئيلاً ، وما
 ذلك إلا لبعد الديار وحيلولة البحار وانقطاع الأخبار واختلاف اللغة .

لذلك نرى المؤلفين كالحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة والسخاوي في الضوء
 اللامع والشوكاني في البدر الطالع والخزرمي في النور السافر والمحبي في
 خلاصة الأثر ، والمرادي في سلك الدرر ، لم يترجموا إلا للقليل النادر ممن
 هاجروا إلى بلاد العرب وتوطنوا الحجاز أو طالت إقامتهم في الأقطار العربية .
 استقصى السخاوي في كتابه "الضوء اللامع" وأوعب وقال : إنه ذكر كل من
 يستحق التعريف : "مصرياً أو شامياً حجازياً أو يمنياً رومياً أو هندياً مشرقياً
 أو مغربياً" (١)

وهذا هو القاضي محمد بن علي الشوكاني (م ١٢٥٠هـ) قد ترجم في كتابه :

(١) المقدمة للسخاوي .

"البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع" خمسة وتسعين وخمسة مائة شخصاً . ولم يترجم من أعيان الهند إلا سبعة فقط ، وهذا المحبي مع سعة اطلاعه لم يترجم من أبناء الهند إلا أربعة عشر رجلاً ، ولم يسعد من أعيان الهند بالتعريف في كتاب : "سلك الدرر" للمراي إلا سبعة من أعيان القرن الثاني عشر .

ويدل على ذلك دلالة واضحة أن العلماء الذين ألفوا الكتب في الطبقات وتراجم الرجال في بلاد العرب على حسب القرون لم يذكروا أعيان الهند وعلماءها ونوابغ رجالها إلا تحلةً للقسم .

وقد كان موضوع الطبقات وتراجم الرجال موضوعاً أثيراً طرقه علماء المسلمين والمؤلفون في الهند في كل عصر وجيل ، وكان ذلك شيئاً طبيعياً ، وكانت الدواعي إليه كثيرة ، وقد تخصص عدد من المؤلفين الكبار لهذا الموضوع ، ولنظرة عجلية في قسم الطبقات وسير الرجال في "الثقافة الإسلامية في الهند" للعلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني رحمه الله ، كفيلاً بالاطلاع على المكتبة الضخمة التي خلفها العلماء والمؤلفون في الهند ، ولكن جلها أو كلها في اللغة الفارسية ، ثم إنها موجزة مقصورة على عدد قليل من الشخصيات ، ثم أنها لا تحيط بالهند إحاطة مكانية أو إحاطة زمانية ، وبعضها لا تحتوي على قرنين أو ثلاثة قرون ، ثم إن بعضها لا تشتمل إلا على تراجم طبقة واحدة أو مذهب خاص أو فرقة من فرق المسلمين ، أو تسيطر على مؤلفيها نزعة خاصة أو اتجاه خاص .

وقد كانت الحاجة ماسة إلى أن ينهض لسد هذه الثغرة في تاريخ الثقافة الإسلامية بصفة عامة ، وفي تاريخ الهند بصفة خاصة ، رجل رزق علو الهمة

وسعة النظر ورحابة الصدر وتنوع الثقافة ودرقة الملاحظة وسعة الأناة . وتمكنه الظروف الخاصة من الاتصال بمختلف الطبقات والفرق والمذاهب والآراء والاطلاع على المراجع الكثيرة في اللغات المتنوعة والعصور المختلفة والإفادة منها، ويتخير لهذا العمل الجليل ولتعريف العالم الإسلامي بالهند اللغة العربية التي هي لغة التفاهم العالية (١) .

ولم يكن عدم الاطلاع على شغف الهند وولوعها بالعلوم الإسلامية وخدماتها ورجالاتها الفذة وانجازاتها وأعمالها التأليفية وجهودها الدعوية الإصلاحية ، والتجديدية وتضحياتها للوطن بمثابة تقليل من شأن العهد الإسلامي ونكران للجميل فحسب ، بل كان ذلك حائلاً دون معرفة صلاحية وقوة دين الإسلام والدعوة الإسلامية لإنجاب وصنع الرجال وتحويل التراب زهبا وانعاش الروح في الشعوب الميتة وميزة حبه للوطن .

فانطلاقاً من هذا الشعور والإحساس وحرصاً على خدمة من خدموا العلم والدين قام العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني رحمه الله ، وتوفر على دراسة هذا الموضوع الواسع ووقف عليه حياته ، ووفق لوضع كتاب كبير تنوء به عصابة من العلماء أو مجمع علمي في ثمانية أجزاء . لخص فيها واقتبس من ثلاث مائة كتاب في العربية والفارسية والأردية ما بين خطي ومطبوع . قد ذكر أسماءها وأسماء مؤلفيها في فهرست مصادر الكتاب مفرداً . واستقصى وتوسع في ذكر النابهين ونوى الشأن من أبناء الهند ، ولم يغادر صغيراً ولا كبيراً اطلع عليه إلا أحصاه في كتابه حتى أصبح الكتاب يحتوي على ترجمة أكثر من أربعة

(١) من مقدمة نزهة الخواطر ، بقلم كاتب هذه السطور.

آلاف وخمسة مائة ونيف .

وقد توفرت في المؤلف صفات تؤهله للقيام بهذا العمل الجليل والتأليف في هذا الفن الخطير . كان نشأ على الاطلاع والجمع ، وقد كان ذلك ذوقاً توارثه من أبيه ، وكان له في هذا الموضوع هوى من الصبا كما كان مشاركاً في جميع العلوم السائدة في عصر المترجمين والسلف من علماء الهند ، وكانت له بصيرة نافذة في العلوم العقلية والنقلية ، كان ذا مواهب في التاريخ ، قد رزقه الله صفاء الحس وثقوب النظر وحسن الملاحظة ودقتها .

يمتاز هذا الكتاب من بين كتب التاريخ والسير والتراجم التي ألفت في داخل الهند وخارجها بتحقيقه وغزارة مادته واتزانه واعتداله في التنقيذ والتقريظ وسعة نظره بسعة قلبه ، لا يتحيز إلى فئة في التاريخ ولا يتعصب على جماعة . بل يؤدي الأمانات إلى أهلها ، ويأتي بالشهادة على وجهها ، والاعتراف بما لبعض على بعض من فضل ، والحقيقة ان المؤلف قد صب في هذا الكتاب مواهبه وسجاياه ، فجاء قطعة من نفسه ونسخة من روحه ، صفاء حسن ورقة شعور ، واندفاعاً إلى الجمال والكمال أينما وجدا ، واعترافاً بالفضل أينما حل واستقر ، واقتصاداً في المدح والنقد وتنبيهاً لمواضع الضعف ، ومما لا يخلو منه بشر ، وعذوبة عبارة وخفة روح وتنوع مادة فأصبح الكتاب لا يمل ولا يستثقل ، وأصبح سميراً عزيزاً ونديماً فكهاً وموعظة وذكري ودرساً وعبرة .

وهو مبدوء من تذكرة الصحابة والتابعين والغزاة والمجاهدين الذين أسعدوا الهند بقدمهم الميمون في القرن الإسلامي الأول، ومختوم بترجمة أعيان نصف القرن الرابع عشر الهجري في الهند، ولعل الهند هي القطر الإسلامي

الوحيد البعيد التي سجلت تراجم أعيانه من القرن الأول الإسلامي إلى القرن المعاصر في كتاب واحد ، فهناك أقطار إسلامية قد مثلت دوراً خطيراً في تاريخ الفكر الإسلامي ، وفي تاريخ العلوم الإسلامية ، ونبغ فيها من العلماء والعظماء الذين لا يحصون بحد وعد ، كبخارى وسمرقند وأفغانستان وإيران وغيرها ، لم يكتب تاريخ رجالها ، ولم تدون تراجم أبنائها بهذا التسلسل والتحقيق .

وفي هذه المناسبة أرى من الواجب أن أقدم النتيجة مع الاعتذار التي حصلت باستعراض علمي بإنصاف وعدم انحياز لسلسلة التراجم والطبقات والسير في العالم العربي والإسلامي الطويلة الممتدة في القرون والأجيال المحتوية للعصور والأزمان أن كتب التراجم والسير التي ألفت في الأقطار الإسلامية الرئيسية الغنية برجالها وأعمالها ، إما هي خاصة بقرن كالدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر والضوء اللامع في رجال القرن التاسع للسخاوي والنور السافر في رجال القرن العاشر للحضرمي و خلاصة الأثر في رجال القرن الحادي عشر للمحبي وسلك الدرر في رجال القرن الثاني عشر للمراي والبدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني . أو مقصورة على طبقة من طبقات الفضلاء وأهل الكمال كطبقات الأطباء وطبقات النحاة أو الأدباء أو مقصورة على مذهب من المذاهب الفقهية المقبولة كطبقات الشافعية الكبرى وطبقات الحنابلة وغيرها .

أما أن يكون الكتاب يغطي المساحة الزمنية من القرن الإسلامي الأول إلى قرن المؤلف والمساحة المكانية من شرق البلاد إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها ، ويشمل طبقات أهل الفضل وأعلام كل فن ، فلا توجد لذلك أمثلة ونماذج في أكثر الأقطار الإسلامية العربية .

أما نزهة الخواطر فهو يغطي المساحة الزمانية من القرن الإسلامي الأول إلى سنة وفاة المؤلف ، والمساحة المكانية من ممّر خيبر إلى خليج بنغال ومن قتل كشمير في الشمال إلى أقصى جنوب الهند ، ويشمل طبقات أهل الفضل والنباهة على اختلاف مزاياهم ومجالات فضلهم ونبوغهم ومذاهبهم واتجاهاتهم كما يتحقق ذلك القارئ عند الاطلاع على هذا الكتاب وفحصه عن علم من الأعلام في أي فن من الفنون ومجالات النبوغ والإنتاج .

إن تأليف الجزء الثامن الأخير من الكتاب كان أكثر صعوبة ودقة ، فإنه يختص بأعيان وأعلام الهند المعاصرين ، إن التمسك بالاعتدال والتوازن في التنقيذ والاعتراف بالفضل والخدمات في الشخصيات المعاصرة عمل صعب و دقيق جداً ، ولكن المؤلف رحمه الله قد قطع هذه العقبة بأمن وسلام .

من أجل هذه الميزات والخصائص يندر نظيره في مكتبة التراجم والطبقات والسير ، وهو تحفة علمية تاريخية عالية للمحققين والباحثين والمشتغلين بتاريخ الهند الإسلامي ، وباقية جميلة للمعلومات و وصف صادق لأهل الفضل والكمال .

ومأثرة علمية أخرى للعلامة عبد الحي الحسني كتابه "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف" الذي قام بطبعه ونشره باسم "الثقافة الإسلامية في الهند" سنة ١٩٥٨م المجمع العلمي العربي سابقاً ومجمع اللغة العربية حالياً بدمشق ، وصدرت له طبعتان حتى الآن ، في أوله مقدمة جليظة بحث فيها عن مناهج التعليم في هذه البلاد وما

حدث فيها من تغيير في كل عصر منذ فتح المسلمون الهند إلى عهد المؤلف ، ثم تكلم على الفنون كالصرف والنحو واللغة والبلاغة والعروض والشعر والإنشاء والتاريخ والجغرافية والفقه والحديث وأصولهما والتفسير وأصوله والتصوف والأخلاق والكلام والمناظرة والمنطق والطبيعات والرياضي والطب ، فذكر تاريخ كل فن مطلقاً ، ثم ذكر تاريخ الفن في الهند ثم ذكر ما وضع فيها علماء الهند من الكتب ومن برع فيها منهم ، وهو كتاب جليل غزير المادة في هذا الموضوع و خلاصة دراسات طويلة واسعة دقيقة .

وللمؤلف كتاب ثالث قيم في العربية باسم "جنة المشرق ومطلع النور المشرق" إنه في الحقيقة عصاره دراسات الطويلة الواسعة في حياته كلها ، تتجلى فيه صورة العهد الإسلامي في الهند بكل جلالها وجمالها ، وبنظرة واحدة تتمثل لك جميع مآثر الملوك المسلمين وأهل الفن والصناعة الحضارية والبنائية والإدارية ، كما يطلعك الكتاب على جغرافية الهند وموقعها من الأرض وجبالها وأنهارها وهوائها وحاصلاتها وأشجارها ونوادرها وحرف أهلها وحيواناتها ومعادنها وأجناسها وأديانها وصناعاتها ولغاتها حتى عقاقير البلاد والفواكه التي لا توجد في غير هذه البلاد ، يحتوي الكتاب على ثلاثة فنون: الفن الأول ، وفيه مقدمة وأربعة أبواب : الباب الأول في جغرافية الهند ، والباب الثاني في ذكر اقطاع الهند المشهورة ، والباب الثالث في أشهر مدن الهند وقراها ، والباب الرابع في تقسيم أرض الهند على الولايات ، والفن الثاني في أخبار ملوك الهند وفيه أربعة أبواب ،

الباب الأول في ظهور الإسلام في أرض الهند وذكر ولايتها من بدء الإسلام إلى آخر الدولة العباسية ، الباب الثاني في ذكر استيلاء الملوك الغزنوية والغورية على الهند ، والباب الثالث فيمن ملكوا الهند وكانوا يسكنون دلهي ، والباب الرابع في فصول مهمة تتعلق بتاريخ الهند .

الفن الثالث وهو أهم الثلاثة في الخطط والآثار وفيه ثلاثة أبواب ، الباب الأول في خطط الملوك وعوائدهم في السلطنة ، وفيه فصول عديدة في ذكر خطة الملوك في الأحكام السياسية وفي ذكر العساكر وترتيبها ونظامها وفي ذكر المناصب وأهلها وفي نظام المملكة وعوائدهم في تحصيل المالية وفي عوائد الملوك في العدل والقضاء وفي ذكر دور سلاطين الهند وجلوسهم للناس وفي ذكر خروج السلطان إلى بلاده وفي ذكر آداب التحية بين أيدي الملوك ، بحث عن هذه الأمور وذكر ما حدث فيها من التغيير في كل عهد .

نداء الهند

الباب الثاني في فصول مهمة لا بد من استحضارها عند النظر في أخبار الهند ، وفيه عدة فصول في ذكر السنين والشهور والساعات والنقود والموازين وأصناف الأرض والعشر والخراج وغيرها في كل عصر .

الباب الثالث في الأمور النافعة لأهل الهند ، ذكر فيها مآثرهم من الشوارع العامة والبريد والحياض والأنهار والحدائق والبساتين والجوامع والمساجد والمدارس والمستشفيات والمقابر العظيمة والحسينيات . وذكر نوادر ما وضعوه .

وهذا القسم من الكتاب لم يسبق إليه ، وبه يعرف حظ المسلمين في عمارة الهند وحضارتهم ومعاشرة ملوكهم وسياستهم ، وقد استقصى المؤلف التغييرات التي حدثت في كل عهد .

وهذا الكتاب في الواقع حلقة هامة من سلسلة الكتب التي ألفت في مختلف البلاد باسم "خطط" كـ "خطط مصر" لمقريزي و "خطط الشام" لكردي علي .

وطبع ونشر هذا الكتاب من دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد باسم "الهند في العهد الإسلامي" وترجمته بالأردية بقلم الأستاذ أبو العرفان خان الندوي رحمه الله ، قد طبعت ونشرت من مجمع العلامة شبلي النعماني بأعظم كره (الهند) سنة ١٩٦٩م ، وصدرت لها طبعة ثانية من المجمع العلمي الإسلامي لکنناؤ (الهند) ونقل الكتاب إلى لغات أخرى أيضاً .

وأخيراً - لا آخراً - أذكر من مصنفاته الأردية كتابين هامين فحسب . وهما : "كل رعنا" مصنف جليل في تاريخ شعر أردو وشعرائه . في أول الكتاب مقدمة جلييلة بحث فيها عن تاريخ أردو . ثم تكلم على كل عصر وشعرائه مع نبذة من شعرهم وطرف صالح من حياتهم . وكان المؤلف ناقدًا بصيرًا قلما يوجد نظيره في هذا الباب ، تلقى هذا الكتاب علماء هذا الشأن بالقبول . وصدرت له طبعات كثيرة .

و "ياد أيام" من خيرة كتبه في أخبار ولاية غجرات (الهند) . وهي أول ما وطنه المسلمون من أرض الهند ، ضمنه تاريخ هذه البلاد السياسي والمدني والعلمي ، ذكر فيه العلماء والمشايخ والملوك والوزراء والقضاة وما ظهر على أيديهم من رقي المدنية والصناعة والعلم وما إلى ذلك . . "ربما يقوم شخص واحد في الشرق وآسيا بما تقوم به الأكاديمية في الغرب وأوربا" .

ينطبق هذا القول على العلامة السيد عبد الحيّ الحسنيّ كامل الانطباق نظراً إلى مآثره العلمية والتاريخية والموسوعية ، فإنها تشكل مكتبة قيمة عظيمة كيفاً ، ولو كانت صغيرة كماً ، فهي نتيجة لدراساته ومطالعاته وولوعه وهيامه العلمي وحده . وحرصه الشديد على خدمة الدين والعلم والوطن ، ولم يكن له مساعد وزميل في عمله التصنيفي والتأليفي ، ولم يتجاوز عمره ٥٤ عاماً . ثم كانت له أشغال أخرى أيضاً من معالجة ومداواة المرضى ، فإنه كان طبيباً حازقاً . ومسئوليات إدارة حركة تعليمية وإصلاحية كبيرة مثل حركة ندوة العلماء .

وبالنظر إلى هذه الحقائق والمعلومات وبالاستعراض لمصنفات العلامة عبد الحيّ الحسنيّ القيمة التي لا تخرج مآثر عنصر واحد وفعالياته ونشاطاته العلمية والتأليفية والإبداعية إلى النور فحسب ، بل تقوم البلاد مرفوعة الرأس أيضاً في العالم العلمي أيضاً ، فإنه يدل إلى حد على قوة إنجاب وصنع الرجال وعلى الحرية لكل عنصر وطبقة في التعبير عن آرائها واستخدام كفاءاتها ومؤهلاتها وعرض فنها وصناعتها ، ويدل على وجود جو علمي وتحقيقي وأدبي وتوافر أسباب التعليم ووسائل الإنتاج العلمي والأدبي والفني ، وذلك يكفي فخراً واعتزازاً لأي بلاد حرة كريمة ، بناءً على ذلك فإن عقد مثل هذه الندوات والمجالس العلمية التي يساهم فيها المحققون والأدباء من مختلف المذاهب والفرق ليس في موضعه ومكانه فحسب ، بل هو علامة أيضاً لسعة النظر ورحابة الصدر علمياً وأدبياً وتحقيقياً . لأجل ذلك أرى واجباً عليّ وإنني انتمي إلى هذه الشخصية العظيمة الفذة نسبا وأسرة ومطالعة واستفادة معاً ، أن اتقدم إلى دعاة هذه الندوة العلمية المؤثرة والمنظمين لها وأهل العلم المساهمين فيها بالشكر والتقدير .